علي جمعة الإنسان الذي لا يعرفه أحد

د/ على جمعة مفتي الديار المصرية من الفقهاء المصريين المعدودين، ويعرف الجميع قيمته الفقهية والعلمية، ولكنني اليوم سأتحدث عن د/ على جمعة الإنسان، وكيف ينظر إلي الحياة ويتعامل معها ومع الناس، وذلك من خلال تلاميذه من الفقهاء والعلماء والطلاب الذين تربوا على يديه ونهلوا من معينه وكذلك كل من تعامل معه، فالدكتور على جمعة لم يأخذ في حياته كلها ثمن أي كتاب من كتبه التي كانت تدرس في الأزهر، فقد كان يوزع كتبه مجاناً على طلابه.

ولم يكتف بذلك بل إنه كان يوزع الكتاب الذي كان يدرسه في الحوزة العلمية في الأزهر الشريف مجاناً على جميع الطلاب الحاضرين، فإذا كان يدرس مثلاً كتاب "لب الأصول" للشيخ/ زكريا الأنصاري وزعه على جميع طلابه في الحوزة مجاناً، وكان يدفع المصروفات الجامعية لجميع الطلاب الغير قادرين على دفعها في الكلية، سواء كان يدرس لهم أو لا يدرس لهم.

بل إنه كان ينفق من جيبه الخاص على دار الإفتاء ثلاث سنوات كاملة من عام 2004 وحتى عام 2007، وذلك حينما كانت دار الإفتاء المصرية تتبع وزارة العدل والتي كانت تضن بالإنفاق على دار الإفتاء وموظفيها وعلمائها وتهتم بالقضاة والمستشارين دون سواهم.

وقد حكي لي بعض علماء دار الإفتاء أن الدار كانت تحتاج من اللمبة إلي أجهزة الكمبيوتر الحديثة، فلا تجد من يشتريها، فكان الشيخ يشتري كل ما تحتاجه دار الإفتاء حتى ترسل وزارة العدل كل شهر ما تحتاج إليه.

ويذكر هذا العالم أن دار الإفتاء كانت تضاء أحيانا بنصف الإضاءة المطلوبة وعليك أن تنتظر لمدة شهر حتى ترسل وزارة العدل اللمبات المطلوبة في روتين سمج ومميل

وقد سعي د/ علي جمعة لاستقلال دار الإفتاء حتى أصبح واقعاً، وذلك أعطى دفعة قوية للدار للانطلاق للعالمية في الفتوى الإسلامية، وخاصة بعد أن انتقلت إلي مبناها الجديد والذي يحوي كافة الإمكانيات الحديثة.

وكان د/ علي جمعة يساعد كل علماء الدار حينما كانت تتبع وزارة العدل، فقد كان مرتب أمين الفتوى الحاصل على الماجستير في الفقه لا يجاوز 700 جنيهاً، وعندما استقلت دار الإفتاء تضاعفت مرتباتهم بحيث تليق بفقيه متخصص ومتفرغ يعمل من الثامنة صباحاً وحتى العاشرة مساءً دون انقطاع.

لقد حكي لي أحد أمناء الفتوى بالدار حاصل على الدكتوراة في الفقه الإسلامي أن د/ علي جمعة ما ترك فقيهاً ولا موظفاً ولا عاملاً بالدار عليه دين إلا سدده، وما احتاج أحد في دار الإفتاء إلي عملية جراحية أو إلي علاج غالي الثمن له أو لأحد من أسرته إلا وتم ذلك على نفقته، حيث لم يكن هناك تأمين صحي على الموظفين بالدار قبل استقلالها.

وكان د/ علي جمعة يخرج كل عام قرابة 20 شخصاً للحج على نفقته الخاصة، ولم يترك موظفاً أو عاملاً بالدار إلا وتحمل نفقة حجه حتى لم يعد في دار الإفتاء موظف واحد لم يحج بيت الله الحرام.

لقد حاول د/ علي جمعة جذب الكفاءات الفقهية إلي دار الإفتاء، وكان يهتم بهم وبأسرهم بعيداً عن مرتبات الدولة الهزيلة مادياً ومعنوياً حتى لا تذهب هذه

الكفاءات النادرة إلي أماكن أخرى داخل مصر أو خارجها، والتي تعطي أمثالهم آلاف الجنيهات شهرياً.

ومن أوائل الذين اهتموا بالوقف الإسلامي كرافد مهم لإصلاح المجتمعات العربية والإسلامية د/ على جمعة، وكان يرى أن الوقف الإسلامي هو الذي حافظ على الأمة الإسلامية طوال العصور الماضية وحافظ على الصحة والتعليم وحمى الأيتام من التشرد، وفرغ العلماء لطلب العلم حتى لا يحتاجون للسلطان .

وكان يرى أن الوقف هو سر تقدم الأمة، وأن أكبر خطأ وقع فيه الرئيس السابق عبد الناصر هو إلغاء الوقف الإسلامي.

وكان د/ على جمعة يردد أن الوقف وصل إلي درجة من الرقي في المجتمعات الإسلامية مبلغاً يفوق المجتمعات الغربية، حتى أن البعض كان يوقف الكراسي في الأسواق والطرقات قدياً ليستريح عليها كبار السن والمرضى، وأن البعض كان يوقف الأواني المملوءة بالماء لسقيا الخيول والكلاب في الطرقات.

وكان هذا في منتهى الرقي الإنساني في المجتمعات المسلمة قدياً والتي كانت تفهم الإسلام حقاً ، فمن يصدق أن يوقف البعض أموالاً لسقيا الكلب والخيول في الطرقات في المجتمع المسلم قبل عشرات القرون قبل أن تعرف أوربا معنى الرفق بالحيوان.

وكان د/ علي جمعة يردد دائماً: كل عمل لابد له من وقف ينفق عليه، وهو ما يسمى الآن بالصيانة للمشروعات الكبرى التي قد تكون أهم من المشروع نفسه.

وكان يقول: الوقف هو الذي سينقل الصناعة والعلم لمن بعدنا.

وكان يتمنى أن يجمع 5 مليار جنيه مصري من أموال الوقف لينفق منها على البحث العلمي وعلى المراكز الصحية المتقدمة وعلى الفقراء واليتامى من خلال العمل المنتج المنظم، وليس من خلال الصدقة الوقتية.

لقد كان د/ علي جمعة مولعاً بالمثل الصيني "لا تعطني سمكة ولكن علمني صيد السمك "، ولعله طبقه على أرض الواقع كثيراً في مصر.

ولذا كان د/ علي جمعة يردد: أعطوني 5 مليار جنيه أغير لكم خريطة مصر ووجه الحياة فيها.

وهو صاحب ومؤسس مشروع "مصر الخير" للرعاية الاجتماعية ذلك المشروع العملاق الذي امتد إلي محافظات كثيرة في مصر، والذي انبثقت عنه شركة "أرض الخير".

وهذه الشركة تعمل على 3 مراحل:

1- إنشاء مزارع للإنتاج الحيواني ومصانع للعلف الحيواني

2- إعطاء الأسرة الريفية الفقيرة جاموسة ومعها العلف اللازم لتربيتها فترة من الزمن حتى تنتج هذه الجاموسة وتكفي هذه الأسرة.

3- العمل بنظرية الأكشاك: وذلك بتوزيع الأكشاك على الأسر الفقيرة بحيث تتبنى مصر الخير دورة كاملة للإنتاج في هذه المشروعات، فتجمع " مصر الخير " ثمن التكلفة وتترك الربح لصاحب الكشك دون أن يتحمل أية مصاريف.

لقد كان فكر د/ علي جمعة أكبر من فكر فقيه ينكب على الرد على الفتاوى أو ينقب في بطون الكتب أو يستخرج الحلول للمسائل الفقهية المعاصرة فحسب، ولكنه

obeikandi.com

حاول أن يربط الدين بالحياة، والواجب الشرعي بالواقع العملي ربطاً لا يخل بأحدهما من أجل الآخر، لأن الدين جاء لإصلاح الدنيا وتعميرها وليس هجرانها أو تدميرها.

لقد كان فكره الإنساني أكبر من فكر الفقيه العادي، فقد أجرى برتوكول تعاون مع إيطاليا لإرسال بعثات مصرية تدرس هناك كل أنواع المهن الحديثة بتطوراتها الجديدة بحيث لا يتكلف الدارس شيئاً، وتستمر الدراسة هناك لمدة 5 سنوات.

وقد أخذ د/ علي المفتي هذه الفكرة من محمد علي باني مصر الحديثة، وهذا المشروع مستمر ومتواصل منذ عشر سنوات تقريباً.

ومن أجل هذا الفكر المتطور كان د/ علي جمعة أول من أيد وساند د/ زويل في مشروعه العلمي العملاق " جامعة زويل المستقلة للبحث العلمي "، وكان أول من وقف إلي جوار الجراح العالمي د/ مجدي يعقوب وساعده في تأسيس مركزه العالمي لجراحات القلب في أسوان، وهو أكبر مركز لعلاج العيوب الخلقية في قلوب الأطفال في الشرق الأوسط، حيث يستطيع د/ مجدي يعقوب ومساعدوه إصلاح أربعة عيوب خلقية في القلب في جراحة واحدة.

إن فكر د/ علي جمعة أكبر من عقول كثيرة تتصدر المشهد الإسلامي، ويأليت هؤلاء يتركون الرجل يعمل في صمت وهدوء بل يكيلون له بين الحين والآخر الكثير والكثير من الاتهامات الباطلة لمجرد الاختلاف في الرأي أو الفكر، ورغم ذلك يثبت الرجل بين الحين والآخر أنه أكبر وأحلم وأرقى ممن يهاجمونه ويحاولون أن يهيلون التراب عليه وعلى فقهه وآثاره الإنسانية.

***

بقلم د/ ناجح إبراهيم... مقالة في جريدة الدستور